اجتهادات
كتاب غيرَّ العالم !

نادرة هى الكتب التى يمكن القول بدون تردد إنها ساهمت فى تغيير العالم. وربما يكون آخرها حتى الآن كتاب الاقتصادى البريطانى جون كينز، الذى تحتفى مؤسسات أكاديمية واقتصادية وإعلامية فى العالم هذه الأيام بمرور ثمانين عاما على إصداره.

كان الاقتصاد فى العالم, قبل إصدار هذا الكتاب (النظرية العامة للتشغيل والفائدة والنقود) عام 1936، غيره بعد أن أحدث أثره بسرعة ربما لم يتخيلها مؤلفه عندما كتبه.

كانت الدول الرأسمالية الحديثة فى العالم تبحث فى ذلك الوقت عن رؤية تنقذها من الخراب الذى ترتب على أزمة كساد عميق وطويل بدأت بانهيار بورصة نيويورك عام 1929. وكثيراً ما يكون العالم فى حاجة إلى رؤية أو فكرة أو خطة ملهمة، كما هو الحال الآن0 ولكن قليلاً ما يُطرح شئ من ذلك فى لحظات الأزمات العميقة. ونادراً ما تجد فكرة مناسبة فى مثل هذه اللحظات وقادة يمتلكون شجاعة لتبنيها بما تنطوى عليه من تغيير يصطدم مع مصالح كبيرة قوية وراسخة.

وقد صدر كتاب كينز فى لحظة نادرة من هذا النوع. فكان عدد من قادة الدول المسيطرة على الاقتصاد العالمى إما يمتلكون هذه الشجاعة، أو

كانوا مضطرين إلى تجرعها فى ظل أزمة لا طاقة لبلادهم على تحمل استمرارها سنوات طويلة أخري.

وكان فى مقدمتهم الرئيس الأمريكى روزفلت الذى لم يسعفه أى من أباطرة اقتصاد السوق بحل يضع حدا لانخفاض الناتج القومى الإجمالى خلال الأزمة إلى أقل من نصفه قبلها. ولذلك استوحى سياسته المعروفة من كتاب كينز الذى كان نقطة فاصلة بين New Deal باسم العهد الجديد الاقتصاديين الكلاسيكى والحديث.

بنى كينز نظريته فى هذا الكتاب على تفنيد الافتراضين الأساسيين اللذين قام عليهما اقتصاد السوق الكلاسيكي، وهما أن العرض يخلق طلباً مساوياً له، وأن الطلب على النقود مشتق من الطلب على شراء السلع ولذلك لم يجد صعوبة فى إثبات أن السوق لا يمكن أن تستعيد توازنها من تلقاء نفسها، وأن تدخل الحكومة لهذا الغرض أمر ضرورى بل طبيعي.

ورغم أن العالم اليوم ليس أقل حاجة إلى رؤية جديدة للإنقاذ، فقد توحشت المصالح الكبرى إلى حد يمنع التفاعل مع أى رؤى جديدة من النوع الذى طرحه توماس بيكيتى فى كتابه الصادر عام 2014 (رأس المال فى القرن الحادى والعشرين).